كتاب العدد : الحصان الأبيض

دراسات الطفولة العربية

رئيس مجلس الإدارة : التقنور جاسم محمد صالح

مجلة شهرية تعنى بأدب وثقافة الأطفال - جمهورية العراق / بغداد

العدد التاسع والعشرون / تموز / ٢٠٢٦

دراسات الطفولة العربية

Arab childhood studies

Editor-in-Chief: Dr. Jassim Mohammed Saleh

A monthly magazine dedicated to childreeas literature and culture - Republic of Iraq / Baghdad

Issue No. 29/ July 2026

ملف العدد:

الحكايات الشعبية للأطفال

*****

* الكرملي وتوليق التراث.

*****

* المرجعية الأدبية للتراث.

*****

* فلسفة الحكايات التعبيرية.

*****

* الألعاب الرقمية ومخاطرها.

العدد التاسع والعشرون

تموز / ٢٠٢٦ - بغداد / العراق

SANAA AL.AMANE MAGAZINE

مجلة سمام الامير

مبادرة حملة ثقافة المحبة والسلام

دار الكتب والوثائق

Iraq Library and Archives

دار الكتب والوثائق بالتعاون مع مجلة سناء الأمير

أسرة مجلة دراسات الطفولة العربية برئاسة الدكتور جاسم محمد صالح تتفاعل مع حملة نقافة المحية والسلام

التصميم والإخراج الفني: الفنان علي الدليمي addalcimiaial@yhoo.com

تصدر بجهود ذاتية ومستقلة بعيدة عن أي تأثيرات أو ميول حزبية أو طائفية أو عرقية
تنويه: المقالات والآراء المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء كتابها

دراسات الطفولة العربية

مجلة شهرية تعنى بأدب وثقافة الأطفال - جمهورية العراق / بغداد

العدد التاسع والعشرون / تموز / ٢٠٢٦

صاحب الإمتياز - رئيس مجلس الإدارة
الدكتور جاسم محمد صالح

رئيس التحرير
أ. م. د. سهاد عادل القيسي
*****
مدير التحرير
عدنان كاظم السماوي
*****
مديرة مكتب بابل:
د. إنعام طالب حسن
*****
مديرة العلاقات:
نسرين غلام علي
*****
مستشارر المجلة

الدكتور الطبيب/ جاسم العزاوي
الدكتور/ عبد الكريم سلمان
الدكتور/ عبد الكريم الزهيري
المهندس/ استيرق الشوك
الدكتور/ محمود عطا القيسي
الدكتورة/ عبير أديب الربيعي
الأستاذ سعد يونس حسين
الأستاذ محمد الكرخي
الدكتور منصور السوداني

المستشار القانوني
المحامي ماجد الحسناوي

هياة التحرير
الدكتور مجيد جابر الموسوي
أ. د. إسماعيل محمد جابر
أ. د. طاهرة داهل طاهر
أ. د. أحلام مجيد سلمان
أ. د. عاطي عبيات
أ. د. حسين علي قيس
أ. د. إفتخار عناد إسماعيل
أ.م. د. محمد طالب التميمي
أ. م. د. هدى محمود شاكر
أ. م. د. أنوار جاسم مطلك
م. د. سها فائق
أ. م. أنسام مشي عبد الرحمن
م. م. أنسام حسن شاكر
م. م. حليمة علي حسين
م. م. سيف محمد عوود
م. م. صادق جودة كريم
م. م. سعد طالب محمود
م.م. زينب حسين حسون
د. زاهر الرومي
الإعلامية وسن النعيمي
الإعلامية قادية النعيمي
التربوية أحلام عوني طالب
التربوية مها عبد الستار

حساب الحجلة
في مصرف الرافدين
٧١٤٨٩٩٢٣٠٩
***
رقم الإبداع في
دار الكتب والوثائق ببغداد
٢٤٢٩ لسنة ٢٠٢٠ م
***
رقم الإعتماد في
إعتاد الصحفيين العراقيين
المركز العام ، بغداد
١٢٤ لسنة ٢٠٢١ م
***
المراسلات
gassim2008@gmail.com
07706254438
***
مقالات المجلة خاضعة للحماية الفكرية من قبل المركز الوطني لحماية حق المواف والحقوق المجاورة في وزارة الثقافة العراقية
بالرقم :
٥٦٤/ ٢١/ ٦/ ٢٠٢٢
***
الترقيم الدوني
ISBN: 978-9922-9364-7-5

التصميم والإخراج الفني / الفنان علي الدليمي - adduleimiali@yahoo.com

أغاني الأطفال التلفزيونية واغتراب القيم
مراجعة تحليلية في ضوء الثقافة العربية

الملخص:

تتصدى هذه الدراسة المرجعية والتحليلية الموسعة لواحدة من أعقد الإشكاليات المعاصرة في حقلي التربية والإعلام، ألا وهي أثر أغاني الأطفال التلفزيونية (العربية والمدبلجة والمترجمة) في تشكيل وتعديل منظومة القيم لدى الطفل العربي، ففي ظل ثورة الاتصالات والانفتاح الرقمي وعولمة الإعلام، تحولت الشاشات إلى مؤسسات تنشئة موازية تتفوق في تأثيرها على المؤسسات التقليدية كالأسرة والمدرسة، تبث هذه القنوات محتوى غنائياً يحمل أنساقاً ثقافية واجتماعية تعكس بيئات إنتاج أجنبية في الغالب (غربية أو آسيوية)، والتي غالباً ما تتقاطع أو تتصادم بشكل حاد مع الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية، تهدف هذه الورقة إلى تفكيك ظاهرة (اغتراب القيم) الناتجة عن التعرض المستمر لهذا المحتوى، وتحليل أبعادها السلوكية، والنفسية، واللغوية في ضوء نظريات التأثير الإعلامي، وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء الأدبيات السابقة وبعض الأغاني التلفزيونية ونقدها تفصيلياً، تخلص المراجعة إلى أن التعرض المكثف لهذه الأغاني يخلق حالة من (التناقض الوجداني والمعرفي) لدى الطفل بين واقعه المُعاش وعالمه الافتراضي، مما يؤدي إلى اغتراب قيمي عميق يمهد لانسلاخ تدريجي عن الهوية، واخيراً توصي الدراسة بضرورة الانتقال من مربع المنع إلى مربع تفعيل الرقابة الأسرية الواعية (التربية الإعلامية)، ودعم الاستثمار المؤسسي في إنتاج محتوى غنائي عربي بديل يمتلك أدوات الإبهار والجذب، ويعزز الانتماء للهوية القومية والدينية.

الكلمات المفتاحية: أغاني الأطفال، اغتراب القيم، الثقافة العربية.

م.م عامر هاتو حميد – كلية الطب / جامعة ميسان / العراق
amer.mcm@uomisan.edu.iq

المقدمة:

تُعد مرحلة الطفولة، ولا سيما سنوات الطفولة المبكرة والمتوسطة، المرحلة الحرجة والمفصلية التي تُرسم فيها ملامح الشخصية الإنسانية؛ ففيها تتشكل الإدراكات الأولية، وتُبنى المعتقدات، وتُغرس القيم والمبادئ التي توجه السلوك البشري مستقبلاً. تاريخياً، كانت الأسرة والمدرسة والبيئة المحلية هي المحتكر الأساسي والأوحد لعملية التنشئة الاجتماعية وتمرير الموروث الثقافي عبر الأجيال، أما اليوم ومع هيمنة عصر الصورة وتدفق المعلومات عبر الشاشات المفتوحة، تراجعت تلك الأدوار الكلاسيكية لتزاحمها، بل وتتفوق عليها أحياناً وسائل الإعلام، وفي مقدمتها التلفزيون وما تفرع عنه من قنوات فضائية ومنصات رقمية متخصصة كلياً للأطفال (أبو أصبع، ٢٠٠٦، ٤٥).

تحتل (أغاني الأطفال) مساحة استراتيجية واسعة من خارطة البث اليومي لهذه القنوات؛ وذلك لاعتمادها على عناصر سيكولوجية وسيميائية

شديدة التأثير، مثل الإبهار البصري، والإيقاع الحركي السريع، والتكرار اللفظي الذي يتردد صداه في ذهن الطفل، هذه العناصر تتوافق تماماً مع الخصائص النمائية والفسيولوجية للطفل، مما يضمن استقطاب انتباهه لساعات طويلة ودمجه في حالة من التلقي شبه السلبي.

غير أن التحول الجوهري والمقلق يكمن في طبيعة هذا المحتوى؛ إذ يعتمد الإعلام العربي الموجه للطفل، وبنسبة كبيرة جداً على استيراد المحتوى الأجنبي ودبلجته لأسباب اقتصادية تتعلق بخفض تكاليف الإنتاج المحلي، هذا المحتوى المستورد لا يمكن النظر إليه كمجرد مقطوعات موسيقية بريئة لتزجية الوقت، بل هو (حامل ثقافي) بامتياز، ينقل أسلوب حياة كامل، وطريقة تفكير، ومنظومة قيم تعبر بدقة عن فلسفة المجتمعات التي أنتجتها، سواء كانت رأسمالية استهلاكية، أو مجتمعات مفرطة الفردية)، وعندما يتعرض الطفل العربي لهذه المواد بكثافة واعتياد، فإنه يواجه منظومة قيمية تتصادم جذرياً مع بيئته الأصلية، مما يُنتج حالة من التناقض الداخلي تفضي تدريجياً إلى ما يُعرف في علم الاجتماع بـ (اغتراب القيم) (حجاب، ٢٠١٠، ٨٨).

الإطار المنهجي للدراسة:

أولاً: مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تتبلور المشكلة البحثية لهذه الدراسة في رصد وتحليل التناقض الصارخ القائم بين ما تسعى مؤسسات التنشئة العربية (الأسرة، المدرسة، المجتمع) إلى غرسه من قيم مجتمعية وأخلاقية ودينية، وبين ما تبثه قنوات الأطفال الفضائية من أغانٍ تروج لقيم هجينة ودخيلة تحت غطاء الترفيه والتسلية، وتتفرع هذه المشكلة إلى التساؤلات الرئيسة الآتية:

١. ما هي طبيعة الأنساق القيمية والمضامين الثقافية التي تحملها وتمررها أغاني الأطفال التلفزيونية ؟

٢. كيف تنعكس هذه المضامين المبطنة والمباشرة على سلوك ونفسية ولغة الطفل العربي وتسهم في إحداث اغترابه القيمي؟

٣. ما هي الآليات المقترحة والاستراتيجيات المطلوبة لحماية الطفل وتفعيل دور المؤسسات التربوية والإعلامية في مواجهة هذه الظاهرة؟

ثانياً: أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة بشكل منهجي ومفصل إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١.التأصيل المفاهيمي الدقيق، من خلال تحديد وضبط مفهوم (اغتراب القيم) في سياقه الإعلامي والسوسيولوجي، وتكييفه علمياً ليتناسب مع قياس أثر وسائل الإعلام على مرحلة الطفولة.

٢.الرصد والتحليل العميق، وكشف أبرز الأنساق القيمية الدخيلة (كالنزعة الاستهلاكية، والفردية المفرطة، والتمرد) والتأثيرات السلبية (النفسية، السلوكية، واللغوية) الناتجة عن استهلاك المحتوى المدبلج والمترجم.

٣.تقديم المعالجات والحلول، من خلال صياغة رؤيـة نقدية متكاملة وتوصيات عملية قابلة للتنفيذ الميداني، موجهة لصناع القرار الإعلامي والتربوي، وللأسرة، لمواجهة الظاهرة بفعالية تتجاوز ردود الفعل العاطفية المتمثلة في المنع المؤقت.

ثالثاً: أهمية الدراسة:

تنقسم أهمية الدراسة إلى شقين متكاملين:

أولاً: الأهمية النظرية والعلمية:

تُسهم هذه المراجعة في إثراء الأدبيات الأكاديمية العربية والمكتبة التربوية في مجال (سوسيولوجيا الإعلام)، وتسد فجوة بحثية ملحوظة من خلال تسليط الضوء على (أغاني الأطفال التلفزيونية) تحديداً كأداة اختراق ثقافي، بدلاً من التعميم على برامج الأطفال كافة، حيث أن الأغنية تمتلك قوة تأثير وجداني تتجاوز النص العادي، مما يستوجب تفكيكها نظرياً.

ثانياً: الأهمية التطبيقية والعملية:

تنبع من الخطورة البالغة للمرحلة العمرية المستهدفة (الطفل)؛ حيث يفتقر المتلقي هنا للمرشحات النقدية والدفاعات الإدراكية التي يمتلكها البالغون، كما تقدم الدراسة إطاراً توجيهياً استرشادياً للآباء، ولصناع المحتوى، لرسم سياسات إعلامية مستقبلية تحافظ على الهوية الثقافية دون الانعزال عن العالم.

رابعاً: منهجية الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها

بأسلوب علمي رصين، تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، يُعد هذا المنهج الأنسب كون الظاهرة تتطلب ما هو أبعد من مجرد الرصد السطحي أو الوصف الكمي لعدد ساعات البث، ويعتمد هذا المنهج على تحليل مضامين الأغاني، وتفسير دلالاتها السيميائية المخفية، وربطها عضوياً بالنسق القيمي والثقافي للمجتمع العربي.

المحور الأول: المقاربة المفاهيمية والسيميائية لاغتراب القيم ومظاهرها

أولا: التأصيل المفاهيمي لاغتراب القيم والخصائص السيميائية:

١.أغاني الأطفال: تتعدد المقاربات العلمية في تقديم تعريف إجرائي لأغنية الطفل تَبَعاً للزاوية المنهجية التي ينطلق منها الباحث؛ فمن ناحية البعد النفسي والسيكولوجي، يُعرّفها الدكتور إسماعيل عبد الفتاح بأنها: "شكل من أشكال التعبير الفني والوجداني الذي يمزج بين الكلمة البسيطة واللحن الحيوي، وهي أداة سيكولوجية فاعلة تسهم في تشكيل وجدان الطفل وتوجيه سلوكه، حيث تلبي حاجاته النفسية من ترفيه وتسلية، وتساعده على تفكيك رموز العالم المحيط به عبر آلية الاستدخال القيمي" (عبد الفتاح، ٢٠٠٨، ص ٦٤).

أما من ناحية البعد اللغوي والتربوي، فيذهب الدكتور أحمد الهواري إلى تعريفها بأنها: "قطعة منظومة من الكلام، تتسم بالسهولة واليسر، وتُصاغ في قالب شعري موزون ومقفى، يُراعى فيه التكرار اللفظي والتناغم الموسيقي، وتهدف أساساً إلى تنمية الحصيلة اللغوية للطفل، وإكسابه القيم والمعايير الاجتماعية والتربوية بأسلوب غير مباشر يتناسب مع خصائصه النمائية" (الهواري، ٢٠٠٤، ص ١١٢).

٢.مفهوم اغتراب القيم: تعود الجذور الفلسفية والاجتماعية لمصطلح (الاغتراب) إلى مفكرين من أمثال، (كارل ماركس، وإميل دوركايم، وملفن سيمان)، حيث يشير في جوهره إلى شعور الفرد بالانفصال، واللامعيارية، والعزلة عن محيطه المجتمعي أو عن ذاته.

وفي سياق إعلام الطفل والتعرض للرسائل التلفزيونية، يُمكننا تعريف (اغتراب القيم) بأنه: "الحالة النفسية والاجتماعية المعقدة التي تتولد وتتراكم لدى الطفل نتيجة تعرضه المستمر لنموذج ثقافي وإعلامي أجنبي يتناقض جذرياً مع ثقافة مجتمعه الأصلي، مما يؤدي به تدريجياً إلى تبني معايير، وتفضيلات، وسلوكيات هجينة تجعله يشعر بالغربة والنفور تجاه واقعه الحقيقي، ويرفض الانتماء الوجداني لقيم أسرته ومجتمعه المحلي" (زايد، ٢٠٠٦، ١٧٥)، ويحدث هذا التصدع عندما يفتتن الطفل بالنموذج (المُعولم) المبهر الذي تُقدمه الشاشة، فيُسقطه دون وعي على واقعه المحلي الذي قد يتسم بالبساطة أو بضوابط دينية واجتماعية صارمة، وهذا التفاوت يخلق شرخاً في بناء هويته، حيث يرى الطفل أن قيم التلفزيون هي القيم العصرية والصحيحة، بينما يرى قيم أسرته كقيود متخلفة يجب التخلص منها.

٣.الخصائص السيميائية والتقنية للأغنية المستوردة: إن خطورة الأغنية التلفزيونية المستوردة لا تتوقف عند حدود كلماتها المترجمة، بل تتجاوزها إلى النسق السيميائي (الرموز والإشارات والعلامات المرئية والمسموعة) المصاحب لها، والذي يُصمم بعناية فائقة لاختراق وعي الطفل، وتتميز هذه الأغاني بـ:

أ.الإبهار التقني والبصري العالي: توظيف أحدث تقنيات الرسوم المتحركة ثلاثية الأبعاد (3D)، وتقنيات المونتاج فائقة السرعة، واستخدام تدرجات الألوان الصارخة التي تخلق حالة من التنويم البصري الكامل للطفل، وتجعله مشدوداً للشاشة وكأنه في حالة تخدير حسي.

ب.الإيقاع الموسيقي الصاخب والموجه: تعتمد هذه الأغاني على إيقاعات موسيقية محفزة بشدة (غالباً ما تُقتبس من موسيقى البوب الغربية أو الكيبوب الأسيوي)، وهو ما يرفع من معدلات الأدرينالين لدى الطفل، ويشتت حالة الانتباه الهادئ المطلوب لعمليات التعلم العميق والنمو المعرفي السليم.

ج.الدبلجة التجارية المشوهة: في سعي العديد من القنوات العربية لتقليل التكاليف الإنتاجية، يتم تسليم المحتوى لشركات دبلجة تعتمد الترجمة الحرفية البحتة التي تنقل المفردات كما هي دون (تبيئة) أو تكييف مع السياق التربوي العربي، فتأتي الكلمات إما ركيكة ومعقدة، وإما مصحوبة بلهجات محلية مغرقة في العامية تضر بالذائقة اللغوية، بل وتفقد النص روحه التربوية الأصلية التي ربما كانت

موجودة في نسخته الأم.

ثانياً: مظاهر اغتراب القيم وانعكاساته (السلوكية، والنفسية، واللغوية):

تتبلور حالة الاغتراب وتنتقل من حيز التلقي إلى حيز التنفيذ والتأثير من خلال مضامين محددة تتشربها شخصية الطفل وتنعكس في الأبعاد التالية:

١.تكريس النزعة الفردية والاستهلاكية (الصدام مع قيم المجتمع).

أ.النزعة الفردية والتمرد: تقوم بنية الثقافة العربية والإسلامية أساساً على قيم الجماعية، والترابط الأسري، والتكافل، واحترام سلطة الوالدين والمعلمين كأطر توجيهية حامية للنشء، وفي المقابل المباشر تُعلي الأغاني المستوردة من قيم (الفردية المطلقة)؛ حيث يظهر الطفل (بطل الأغنية) كمحور أوحد للكون، يتخذ قراراته المصيرية بمعزل تام عن مؤسسته الأسرية، وغالباً ما يُقدم الكبار إما بصورة الغائبين أو بصورة النمط المتخلف الذي يقف عائقاً أمام طموحات الطفل، وهذا التناقض الخطير يزرع في وعي الطفل بذور التمرد، والعصيان، ورفض التوجيه، باعتبارها أدلة على الاستقلالية وقوة الشخصية (حامد، ٢٠٠٩، ٧٥).

ب.تسليع الطفولة وثقافة الاستهلاك: تُعد العديد من قنوات الأطفال الغربية واجهة ناعمة للنظام الرأسمالي العالمي الذي يسعى حثيثاً لخلق مستهلك صغير وفيّ للعلامات التجارية، وتتضمن هذه الأغاني رسائل خفية ومباشرة تربط مفهوم السعادة، والتفوق، والقبول بين الأقران، بالقدرة على الاستهلاك المادي؛ كارتداء علامات تجارية محددة، أو امتلاك أحدث الإصدارات من الألعاب الذكية، أو التركيز المفرط على المظهر الخارجي وصورة الجسد (خاصة في المحتوى الموجه للفتيات)، فهذه الرسائل تسهم في بناء جيل استهلاكي بامتياز، يقيس قيمته الذاتية وقيمة الآخرين بحجم ما يملكون، متجاهلاً ومهمشاً للقيم الروحية والأخلاقية الرفيعة كالرضا، والتواضع، والأمانة (عبد الحميد، ٢٠١٢، ٢٠).

٢. الاغتراب اللغوي وتشويه الهوية الناطقة:

اللغة ليست مجرد أداة محايدة لتبادل المعلومات؛ بل هي وعاء الفكر، ومستودع الثقافة، والمعبر الأول عن الهوية والانتماء.

إن إقحام الأغاني المستوردة التي تُدبلج بعشوائية في يوميات الطفل، يُدخل إلى قاموسه مصطلحات وتراكيب لغوية هجينة، مثل (استخدام التراكيب الإنجليزية المعربة حرفياً، أو لغة (الفرانكو)، والأسوأ من ذلك هو اتجاه بعض القنوات مؤخراً إلى بث مقاطع وأغانٍ أجنبية بالكامل دون أي ترجمة، بدعوى (الانفتاح الثقافي وتعليم اللغات)، وهذا التوجه المتسارع يُصيب الطفل بـ(الازدواجية اللغوية)، ويهمش اللغة العربية الفصحى، بل ويجردها من قداستها ومكانتها في وجدانه، مما يُفقده أهم مكونات هويته القومية والحضارية ويجعله لساناً أجنبياً في بيئة عربية (الخوري، ٢٠٠٧، ٩٤).

٣. التأثيرات النفسية:

يُعد الجانب النفسي من أخطر الجوانب المتضررة جراء هذا الغزو الغنائي، وإن التعرض الكثيف والمستمر للبيئات المثالية والخيالية، المفعمة بالرفاهية المطلقة، والألوان الزاهية، والشخصيات الخالية من الهموم الإنسانية الحقيقية، وهذا ما يجعل الطفل ينسحب تدريجياً ليعيش داخل العالم الافتراضي، وفي هذا السياق تؤكد نظريات التأثير الإعلامي (كنظرية الغرس) خطورة هذا الاندماج العاطفي؛ حيث يُشير الدكتور عاطف العبد في كتابه إلى مدى خطورة اندماج الطفل مع الشاشة، إذ يرى أن "دور وسائل الإعلام يبرز في تكوين الصور الذهنية عند الأطفال... وتزداد الخطورة حينما ينظر الأطفال والشباب إلى ما يشاهدونه على الشاشة كواقع يقتدى به" (العبد، ٢٠٠١، ٤٥)، و هذا الاندماج المطلق يخلق لدى الطفل أزمة نفسية عميقة تُعرف بـ (التنافر المعرفي)، فعندما يغلق الشاشة ويصطدم بواقعه المحلي اليومي والذي قد يعاني من بساطة في العيش، أو تحديات اقتصادية، أو قيود اجتماعية طبيعية، يُصاب بصدمة واقع تتجلى أعراضها في الإحباط المستمر، وسرعة الغضب، والعدوانية، والشعور العميق بالنقص والدونية والاغتراب النفسي عن أسرته التي لا تستطيع توفير عالم يشبه عالم الشاشة.

إلى جانب ذلك، تنعكس هذه المضامين سلوكياً في شكل تبني حركات جسدية، وطرق تواصل، وأساليب رقص قد لا تتناسب البتة مع وقار الثقافة العربية أو مع براءة الطفولة، ناهيك عن دور

الإيقاعات الصاخبة والمشاهد سريعة القطع في إحداث أعراض مشابهة لفرط الحركة وتشتت الانتباه نظراً لاضطراب مستويات الدوبامين لدى الطفل.

المحور الثاني: استراتيجيات المواجهة والنماذج التحليلية:

أولا: آليات الحماية والتحصين الثقافي:

إن مواجهة هذه الموجة العابرة للحدود لا ينبغي أن تُقابل باليأس أو بالانغلاق، حيث لا تميل هذه الدراسة، ولا تؤيد تبني خيار المنع المطلق والمصادرة؛ فهذا خيار غير واقعي، بل ومستحيل تقنياً في عصر السماوات المفتوحة والأجهزة الذكية وتدفق البيانات، وأن البديل الاستراتيجي الناجع يتمثل في التحصين الثقافي الداخلي وبناء منظومة متكاملة من البدائل الوطنية والمتابعة الواعية، وذلك عبر مسارين رئيسيين متلازمين:

١.دور الأسرة والمدرسة: تُعد الأسرة حائط الصد الأول والأخير في هذه المعركة الفكرية، فيجب أن تتحول سيكولوجية الآباء والأمهات من دور (الرقيب المانع والموبخ) إلى دور (الموجه والمحاور الذكي)، ويتحقق هذا التحول من خلال التبني الفعلي لأسس (التربية الإعلامية)، والتي تتضمن التطبيقات التالية:

أ.المشاهدة التشاركية النشطة، وهي تعني التواجد الفعلي والمشاركة في متابعة ما يشاهده الأطفال، وعدم ترك التلفزيون أو الجهاز اللوحي كـ (جليس أطفال إلكتروني)، فهذه المشاركة تتيح للآباء فرصة التدخل اللطيف لتفكيك الرسائل السلبية المبطنة في الأغاني أثناء عرضها.

ب.الحوار المستمر والنقاش النقدي، وهنا يجب فتح قنوات حوار مع الطفل لتوضيح الفارق الجوهري بين ما يُعرض في عالم الخيال التلفزيوني، والذي يهدف في المقام الأول إلى تحقيق الأرباح المادية لشركات (الإنتاج والإعلانات) وبين قيم الأسرة الحقيقية ومحددات الواقع المادي والاجتماعي المحيط بهم (سليم، ٢٠١٨، ٥٧).

ج.توجيه وترشيد الاستهلاك الإعلامي من خلال تحديد أوقات زمنية صارمة للمشاهدة، وانتقاء منصات آمنة، مثل (قنوات يوتيوب الأطفال الموثوقة أو التطبيقات المدفوعة الخالية من الإعلانات) التي تقدم محتوى غنائياً هادفاً يتوافق ويتناغم مع الهوية العربية والإسلامية للطفل، ويدعم نموه المعرفي بدلاً من تشتيته.

٢.دور الإعلام المحلي والسياسات الثقافية العليا: لا يمكن على الإطلاق محاربة محتوى أجنبي شديد الجاذبية، صُرفت عليه ملايين الدولارات، بإنتاج محلي ركيك، وضعيف فنياً، ومباشر في وعظه لدرجة الملل، ويتطلب هذا الأمر وعياً مؤسسياً ودعماً من الدول يتمثل في:

أ.الاستثمار المالي والتقني الضخم، وهذا يستدعي فتح استثمارات حقيقية في إنتاج أغانٍ وبرامج أطفال عربية عالية الجودة فنياً وتقنياً، سواء في جودة الرسوميات، أو التوزيع الموسيقي، أو كتابة النصوص، فضلاً عن ابتكار شخصيات كرتونية عربية أصيلة، ذات ملامح قريبة من وجدان الطفل العربي، وتحمل همومه وطموحاته، بحيث تكون قادرة على استقطابه ومنافسة النماذج الغربية والآسيوية.

ب.الرقابة القيمية وتفعيل مواثيق الشرف، وهذا يقع على عاتق المؤسسات الإعلامية من خلال تفعيل مواثيق شرف إعلامية صارمة تُلزم القنوات الفضائية الموجهة للطفل بـ (فلترة) المحتوى المستورد، وتخضعه للجنة مراجعة تربوية قبل شرائه أو بثه، وتكييفه لغوياً وثقافياً في أثناء عملية الدبلجة بما يضمن عدم اصطدامه بثوابت ومقدسات المجتمع العربي.

ثانياً: نماذج تحليلية:

١. قناة (طيور الجنة) أغنية (الوزن بيزيد - جنى مقداد - ٢٠١٥).

• الجانب اللفظي والأداء: تركز الأغنية على طفلين (عصام- وليد) يعانون من زيادة الوزن بسبب الإفراط في تناول الوجبات السريعة والحلويات، وتردد بأسلوب لحني راقص وسريع، جاء فيها " عصومي ووليد.. بيحبوا الاكل كثير.. والوزن بيزيد.. والوضع خطير..."

•الوصف: يظهر الطفلان في بيئة منزلية مفرطة في الرفاهية المادية والمظهرية المترفة، محاطة بكميات هائلة من المنتجات والماركات الاستهلاكية الملونة الجاذبة للعين.

•التحليل: تعكس الأغنية بوضوح تسليع الطفولة وثقافة الاستهلاك الرأسمالي؛ حيث يتمحور عالم الطفل بالكامل حول المنتجات، الأكل السريع،

والمظهر الخارجي، مما يخلق لدى الأطفال من الطبقات البسيطة تنافراً معرفياً ونفوراً من واقعهم المعيشي المتواضع مقارنة بهذه الصورة البصرية المترفة.

٢.قناة (CN بالعربية) أغنية (الفواصل: هي العنوان - كرتون نتورك - ٢٠١٦)

•الجانب اللفظي والأداء: الأغنية تؤدى بإيقاع سريع وصاخب جداً (إيقاع البوب والروك الغربي)، وتتحدث عن القوة والسيطرة وإثبات الذات بشكل فردي صارخ، ورد فيها: "بيت الكرتون.. عائل مجنون.. ابطال الكون.. فيه مجتمعون.. يلا تعالوا لأرضي هو.. كرتون نتورك روعة يهو ..."

•الوصف: لقطات مونتاج سريعة وخاطفة للأنظار، تظهر فيها شخصيات مثل (فتيات القوة، أو أبطال نينجاغو) في حالات عراك مستمر، وقفزات هوائية حرة، وتعبيرات وجه تتسم بالتحدي والتمرد والتعالي.

•التحليل: يُستدل من هذا المقطع على تكريس قيم التمرد والفردية المطلقة المناهضة لسلطة الكبار؛ فالمحتوى البصري والموسيقي الصاخب يحفز مستويات (الدوبامين) بشكل يرفع من حدة التشتت وفرط الحركة.

٣.قناة (MBC ٣) شارات وأغاني كرتون (سلاحف النينجا-٢٠١٢):

•الجانب اللفظي والأداء: تعتمد الدبلجة فيها على إيقاع حماسي سريع وبترجمة تجارية تمزج تراكيب غريبة، ورد فيها:" أبطال يحاربون الشر ليل نهار.. ينقذون من الأشرار.. يأكلون البيتزا باستمرار.. مهما كانت الأخطار!"

•الوصف: يتم التركيز البصري هنا على عادات غذائية وحياتية غربية بامتياز (مثل جعل البيتزا والوجبات السريعة مكافأة البطل ورمز متجذّر لنمط حياته يومياً)، مع حركات قتالية عنيفة مقتبسة من الأكشن الغربي.

•التحليل: يُظهر هذا المقطع الاغتراب السلوكي والغذائي للطفل العربي؛ حيث يُستبدل بالنمط الغذائي والاجتماعي الأسري نمطٌ مستورد يُقدس الوجبة السريعة كجزء من الهوية اليومية للبطل الذي يُحتذى به، ناهيك عن ركاكة بعض التراكيب اللغوية الناتجة عن الترجمة التجارية الفورية.

٤. قناة (سبيستون) شارة ريمي القديمة، اغنية (أنت الأمان- أمي – ٢٠١٤) (مثال على التبيئة الثقافية)

•الجانب اللفظي والأداء: كُتبت شارات الاغنية بلغة فصحى شاعرية بالغة الرصانة والعمق، جاء فيها:

" أمي.. أمي.. أمي.. أنتِ الأمان.. أنتِ الحنان.. من تحت قدميك لنا الجنان.. عندما تضحكين.. تضحك الحياة.. تزهر الآمال"

•الوصف: ألوان دافئة، هادئة، التركيز على ترابط العائلة، بر الوالدين، مواجهة مصاعب الحياة بالصبر والأمل والوفاء، واتسمت بالإيقاع الهادئ لتمنح المتلقي شعوراً بالدفء العاطفي والسكينة النفسية.

•التحليل: توظف هذه الاغنية لغة شعرية فصيحة، مشبعة بالعاطفة والحنان، إذ تكرر مفردة(أمي) لتأكيد مكانة الأم بوصفها مصدر الأمان والطمأنينة في حياة الأنسان، فضلاً عن بروز القيم الإنسانية والتربوية السامية كالحب والوفاء والصبر والتفاؤل مما يجعل الاغنية قريبة من وجدان الطفل والاسرة معاً.

الخاتمة:

من خلال ما سبق توصل الباحث إلى جملة من النتائج التي توضح تأثير هذه الأغاني على أطفالنا؛ فقد أثبتت الدراسة أن أغاني الأطفال الأجنبية التي تُعرض على شاشاتنا ليست مجرد تسلية بريئة أو وسيلة لتمضية الوقت، بل هي في الحقيقة مدرسة خفية تؤثر بشكل عميق في شخصية الطفل وعقله، وقد توصل الباحث إلىالنتائج التالية:

١.خطر القيم الدخيلة الصادرة عن هذه الأغاني التي تنشر أفكاراً غريبة عن مجتمعنا، مثل التركيز المبالغ فيه على الذات، وحب الاستهلاك والشراء، وضياع اللغة العربية الفصيحة، مما يجعل الطفل يشعر بالغربة عن بيئته وهويته الحقيقية.

٢.خديعة المظهر الجميل، وهنا يجب ألا ننبهر بالألوان والموسيقى والتقنيات العالية في هذه البرامج لدرجة تغفلنا عن آثارها السلبية التي تظهر على المدى البعيد.

ولمواجهة هذا التحدي، يقترح الباحث حلين أساسيين:

١.دور الأهل، ويكون ذلك من خلال زيادة الوعي داخل الأسرة ومراقبة ما يشاهده الأطفال، وتعليمهم كيف يفرقون بين المحتوى المفيد والضار.

٢.دور المؤسسات، ضرورة أن تتحرك القنوات والشركات العربية لإنتاج أغاني وقصص ممتعة ومنافسة عالمياً، تعبر عن ثقافتنا العربية وتغرس في الطفل القيم الصحيحة بدلاً من الاعتماد الكلي على الاستيراد.

إن الهدف النهائي هو أن ننتقل من مرحلة) المتفرج (الذي يكتفي بما يُعرض عليه، إلى مرحلة) المنتج (الذي يقدم لأطفاله ما يحميهم ويبني عقولهم بشكل سليم.

التوصيات:

بناءً على المعطيات والنتائج التي أفرزتها هذه المراجعة، تُقدم الدراسة حزمة من التوصيات المركزية، منها:

١.إدراج مادة تعليمية متخصصة تحت مسمى (التربية الإعلامية والرقمية) ضمن المناهج الدراسية الإلزامية في المراحل الابتدائية والمتوسطة؛ بهدف تدريب الأطفال مبكراً على مهارات التفكير النقدي وتفكيك الرسائل الإعلامية التي يشاهدونها يومياً.

٢.إنشاء صناديق سيادية أو مؤسسات وقفية لدعم الإنتاج الإعلامي العربي الموجه للطفل بمواصفات تقنية عالمية، بحيث لا يخضع هذا الإنتاج لحسابات الربح والخسارة التجارية السريعة التي تضر بالجودة والمضمون.

٣.تفعيل دور أقسام الإعلام وعلم الاجتماع في الجامعات العربية للقيام بإجراء دراسات ميدانية مسحية دورية (طولية وعرضية) لرصد وتحليل المحتوى القيمي الدخيل المتجدد في الأغاني والبرامج المستوردة، وإصدار تقارير دورية لأولياء الأمور.

٤.إصدار تشريعات إعلامية تُلزم شبكات البث الفضائي العربية المخصصة للأطفال بتخصيص مساحة زمنية واسعة (لا تقل عن ٥٠٪ من ساعات الذروة) لبث الإنتاج الغنائي والبرامجي المحلي الهادف، كشرط لتجديد تراخيص البث.

المراجع:

١.أبو أصبع، صالح خليل. (٢٠٠٦). الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة (ط١). دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان.

٢.الهواري، أحمد. (٢٠٠٤). أدب الأطفال: أصوله ونظرياته (ط١). دار المعارف، القاهرة.

٣.حجاب، محمد منير. (٢٠١٠). الإعلام وقضايا التنشئة الاجتماعية: الأسس والنظريات (ط٢). دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة.

٤.زايد، أحمد. (٢٠٠٦). علم الاجتماع: النظريات الكلاسيكية والنقدية (ط١). دار المعارف، القاهرة.

٥.حامد، إيناس محمود. (٢٠٠٩). برامج الأطفال التلفزيونية والنسق القيمي: دراسة سيميائية تطبيقية (ط١). دار الفكر العربي، القاهرة.

٦.عبد الفتاح، إسماعيل. (٢٠٠٨). أدب الأطفال والمنظومة القيمية (ط١). الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٧.عبد الحميد، محمد. (٢٠١٢). دور القنوات الفضائية في تنمية الجوانب المعرفية وتشكيل الأنماط الاستهلاكية للطفل، مجلة بحوث الإعلام، ع ٤١، كلية الإعلام، جامعة القاهرة

٨.الخوري، أمل. (٢٠٠٧). أثر البرامج والأغاني في تطوير وتشويه المخزون اللغوي لدى الأطفال في المرحلة التأسيسية (ط١). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

٩.العبد، عاطف عدلي. (٢٠٠١). الإعلام وثقافة الطفل العربي (ط١). دار الفكر العربي، القاهرة.

١٠.سليم، حنان أحمد. (٢٠١٨). التربية الإعلامية: كيف نحمي أطفالنا من الشاشات في العصر الرقمي؟ (ط١). دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

١١.جنى مقداد. (٢٠١٥). اغنية الوزن بيزيد، قناة (طيور الجنة)، شوهدت بتاريخ ١٩ /٥/ ٢٠٢٦، من الرابط: https://youtu.be/feature=shared?drRmRclCBL٠

١٢.أغنية هي العنوان. (٢٠١٦). كرتون نتورك، قناة (CN بالعربية)، شوهدت بتاريخ ٢٠٢٦/٦/١ من الرابط: https://youtu.٦n١P٠٤vA?si=oP٢aAsufnd__٢d/beaDUfr

١٣.أغنية وشارة سلاحف النينجا. (٢٠١٢)، قناة (MBC ٣)، شوهدت ب تاريخ٢٠٢٦/٦/٣ من الرابط: https://youtu.be/feature=shared?qVrPWx٥Ezw٠

١٤.ريمي. (٢٠١٤). اغنية امي.. انت الأمان، قناة (سبيستون)، شوهدت بتاريخ ٢٠٢٦/٥/٢١ من الرابط: https://youtu.be/MqGde٩t_yWY?feature=shared